Journal of Languages & Translation
P-ISSN: 2716-9359 E-ISSN: 2773-3505
Volume 05 Issue 02 July 2025 pp.500-518

دراسة ملفوظية لإشاريات تائية أبي إسحاق الإلبيري

An Enunciation Study of T-aaiyat's Deictics Abi Ishaq Al-Ilbiri

سامية قديري[1]
مركز البحث العلمي والتقني – الجزائر
s.guediri@crstdla.dz
0009-0009-8134-553X

Received *28/08/2024* ***Accepted*** *15/01/2025* ***Published*** *01/07/2025*

الملخص

نقدم من خلال هذه الورقة البحثية دراسة لسانية ملفوظية لتائية أبي إسحاق الالبيري المتوفى سنة 460هجرية، وقد نظمها قبل وفاته أي في القرن الخامس للهجرة، واشتهرت هذه القصيدة أيضًا بمنظومة الإلبيري، وهي منظومة شعرية في الحث على طلب العلم و التحلّي بالأخلاق الحسنة، نكشف فيها عن وجهة نظر مختلفة لما سبق لها من شروح عديدة على مرّ العصور لاستكناه المعاني الممتدة التي تضمّنها هذا النص، فنظرا لقيمة هذه المنظومة فقد كان العلماء يُلزِمون طلبة العلم بحفظها بعد شرحها لهم، وقد نتجت دراستنا هذه عن تطبيق آليات لسانية حديثة في قراءة نص تراثي يحمل إرثا فكريا ثقافيا إسلاميا مهما، مزال يستدعي اهتمام الباحثين، ونهجنا في هذه الدراسة تطبيق آليات اللسانية الملفوظية، للبحث عن المعنى الذي يتماهى بين العناصر الثلاثة "أنا، الآن، هنا" باعتبارها العناصر المكوّنة لنظرية التلفظ، وباعتبار القصيدة نسيجا شكّل تبادلا فعليا مستمرا بين قطبي التواصل: أنا وأنت. فمن أهم النتائج التي وقفنا عليها هي استعمال الشاعر *لضمائر الحضور* بشكل ملفت للانتباه *"أنا، أنت"*. فورد *ضمير الحضور المفرد "أنا" في القصيدة منفصلا ومتصلا ومستترا ومندمجا في الخطاب*، ومرجع هذا الضمير على طول القصيدة *هو الشاعر*. أما *ضمير الحضور المخاطب "أنت" في القصيدة* فقد ورد *منفصلا ومتصلا*، *وتعدد المرجع ليكون مرة أبا بكر*، *ومرة* الشاعر نفسه، *ومرة أخرى المتلقي بصفة عامة*. أما *ضمائر الغائب في القصيدة* فهي *قليلة*، *وقد وردت متصلة ومنفصلة ومستترة*، *وتعدد مرجعها باختلاف السياق*، وقد *احتوت القصيدة على قرائن زمانية حيادية*، *وهذا ليكوْن الدعوة للعلم والصلاح رسالة للإنسان في أي زمان*. *وغابت القرائن المكانية*؛ لأن *مقصديّة الشاعر* هي الوعظ والنصح والإرشاد *لبني الانسان* بصفة عامة، كما كشفت المقاربة الملفوظية لإشاريات الخطاب في تائية الإلبيري، على أنّ الشاعر ركّز على هذين الضميرين"أنا/أنت" للرمزية التي يتضمناها في تبادل الإنسان لأدواره في الحياة، مهما كان زمانه ومكانه، فتارة يمثّل "الأنا" وتارة "الأنت".

الكلمات الدالة: الإشاريات; الملفوظية; المرجع; الضمائر; الخطاب..

---

[1]المؤلف المراسل: سامية قديري: s.guediri@crstdla.dz/

Journal of Languages & Translation © 2025 Published by University of Chlef, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Abstract

Through this research paper, we present a linguistic and phonetic study of the Ta'iyyah of Abu Ishaq al-Ilbiri, who died in 460 AH. He composed it before his death, that is, in the fifth century AH. This poem is also known as the Al-Ilbiri Poem, which is a poetic poem that encourages the pursuit of knowledge and the adoption of good morals. In it, we reveal a different point of view regarding the numerous explanations that preceded it throughout the ages, in order to explore the extended meanings contained in this text. Given the value of this system, scholars required students of knowledge to memorize it after explaining it to them. Our study resulted from the application of modern linguistic mechanisms in reading a heritage text that carries an important Islamic intellectual and cultural legacy, which still requires the attention of researchers. Our approach in this study is to apply the mechanisms of verbal linguistics to search for the meaning that resonates between the three elements "I, now, here" as the components of the theory of enunciation, and to consider the poem as a fabric that constitutes an ongoing, actual exchange between the two poles of communication: I and you. One of the most important findings we have uncovered is the poet's striking use of the first person pronouns "I, you". The singular first person pronoun "I" appears in the poem as separate, connected, hidden, and integrated into the discourse. The referent of this pronoun throughout the poem is the poet. As for the second person pronoun "you," it appears in the poem as separate and connected, and the referent varies, sometimes to Abu Bakr, sometimes to the poet himself, and other times to the recipient in general. As for the absent pronouns in the poem, they are few, and they appear as connected, separate, and hidden, and their referent varies according to the context. The poem contains neutral temporal clues, so that the call for knowledge and righteousness is a message for humanity at all times. Spatial clues are absent, because the poet's purpose is to preach, advise, and guide humanity in general. The verbal approach to the discourse signals in Al-Ilbiri's Ta'iyyah revealed that the poet focused on these two pronouns, "I/you," for the symbolism they contain in the exchange of roles in life by humans, regardless of their time and place. Sometimes they represent "I" and sometimes "you."

Keywords; Deictics; Discourse; The enunciation; pronouns; referenc.

مقدمة

تجعل اللسانيات الملفوظية أوجه الدلالة والمعنى موضوعا خصبا لها، فهي تعمل على دراسة المعنى دون اجتزاء، فتفترض وجود متحدث LOCUTEUR ومخاطَب ALLOCUTAIER يتموضعان في زمن محدد، وفي مكان معين، وعلى هذا الأساس أصبحت مرجعيات الملفوظية الأكثر تمثيلا لها هي: أنا، أنت، هنا، الآن. وذلك في إطار الاستدلال الذي يستأثر بالإشاريات DEICTIQUES، والتحديد، DETERMINANTS ، فالإشاريات تتمثل في العنصر الاشاري الذي يكون في الملفوظ ويحيله إلى المقام الذي أنتج فيه وإلى الفاعل الناطق "التوجيه" مثل أسماء الإشارة والظروف المكانية والزمانية والضمائر الشخصية (سيرفوني، 1998، صفحة 21)

..أما المحدّدات فهي أدوات التعريف والتنكير والصفات والأسماء المضافة، أي العناصر التي تحقق الفعل القواعدي (سيرفوني، 1998، صفحة 21). إذ نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى استثمار هذه المفاهيم في قراءة الخطاب الشعري العربي من خلال تائية أبو إسحاق الإلبيري.

2. مصطلحات الدراسة

1.2 تعريف اللسانيات الملفوظية

- **الملفوظية:** تقابل الملفوظ بالمعنى الأكثر شيوعا لهذه العبارة، مثلما تقابل صناعة الشيء، الشيء المصنوع وهي فعل الاستخدام الفردي للسان، بينما الملفوظ يعني نتيجة هذا الفعل، فالملفوظية تتكون من جملة العوامل والأفعال التي

تتسبب في إنتاج هذا الفعل الملفوظ: كما في ذلك التواصل الذي يشكل حلقة خاصة من حالات الملفوظية (سيرفوني، 1998، صفحة 07)

وعند بنفينيستEmile Benveniste" الملفوظية هي عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي يحدد الملفوظ، أما حسب "غريماس " (Julien Greimas و "كورتاسDjozef Cortésهي تتابع من الجمل المحقَّقة؛ أي كل ما يتلفظ به الإنسان منطوقا أو مكتوبا، يتحدد ضمن آلية من التلفظ عن طريق ضمائر الشخص وضمائر الملكية، والصفات والظروف، والمهمات الزمانية والمكانية "أما التلفظ فهو العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ فيجب الفصل بين الفعل ونتيجة الفعل" (ذهبية، 2012، صفحة 18)

وعليه يكون التلفظ هو الفعل الذي يجعل الأدلة اللغوية تتحقق من قبل متلفظ في ظروف زمانية ومكانية خاصة؛ أي فعل تحول اللغة إلى خطاب.

تتحدد العناصر المنتمية إلى اللغة وتتغير دلالتها من مكان إلى آخر مثل: أنا، أنت، هنا، الآن، وما على الباحث إلا تقفّي الآثار التي يتركها المتكلم في خطابه، فصعوبة التحكم في التلفظ كعملية تجعل الدراسة اللسانية تلجأ إلى الآثار التي تتركها عملية التلفظ في الكلام، كما أن عملية التلفظ تعني الوقوف عند عناصر مثل: المبهمات كعلامات تشير إلى المتخاطبين، والمتكلم الذي يتدخل كطرف في العملية التلفظية، أما المستمع كطرف ثان يصبح متكلِّما بفضل الخاصية التناظرية للخطاب وبتو افر الشروط أو الظروف التي تتحقق ضمنها العملية التلفظية.

2. الهدف من لسانيات التلفظ

تهدف لسانيات التلفظ إلى دراسة اللغة والأدب، في مختلف أجناسه وأنواعه وأنماطه الفرعية، في ضوء المعينات الإشارية أو قراءتها بواسطة القرائن اللغوية أو مقاربتها عبر المؤشرات التلفظية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني، وهذه المعينات هي: ضمائر الشخوص، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة، والصيغ الانفعالية الذاتية، ومن ثم تتبنّى المقاربة القرائية أو المقاربة التلفظية على دراسة سياق التلفظ، وتحديد أطراف التواصل اللغوي، بالتركيز على ثلاثة مبادئ منهجية هي: البنية، والدلالة، الوظيفة (حمداوي، 2000، صفحة 05)

فنظرية التلفظ قد تخلّصت من النزعة المعيارية التي لازمت البحث اللساني، والتفتت إلى عناصر تواصلية خارج لسانية، إذ تشكل آلية من آليات إنتاج المعنى داخل الملفوظ بحيث يغدو الوقوف عندها أمرا لا غنى عنه في استجلاء الإطار المرجعي المتحكم في سيرورة الخطاب، وتتلخص هذه العناصر في طرفي العملية التلفظية -المخاطِب والمخاطَب، وسياق التلفظ المتعلق بالزمان والمكان، والقاعدة الأساسية هي جعل المتكلم هو الذي يلعب الدور الأساسي والمحوري ويرجع ذلك إلى ما يصطلح به من أدوار في عملية التلفظ، فهو يتداخل مع كل العناصر المكونة لهذه العملية" (الطيبي، 2021، صفحة 44).

3-تعريف الإشاريات

أ-الإشاريات: هي مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان (الزناد، 1993، صفحة 116)

وتتمثل في العنصر الإشاري الذي يكون في الملفوظ ويحيله إلى المقام الذي أنتج فيه وإلى الفاعل الناطق "التوجيه" مثل أسماء الإشارة والظروف المكانية والزمانية والضمائر الشخصية (سيرفوني، 1998، صفحة 27)

ب-الإشاريات الشخصية: إشاريات دالة على المتكلم "أنا" أو المخاطب "أنت" أو الغائب "هو" فالذات المتكلمة تدل على "المرسل" في السياق، وهي تمثل محور الخطاب التداولي، لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ "إنسان، متعلم..." (الشهري، 2004، صفحة 80)

ج- الضمائر

هذه الأخيرة كلّها لا تخلو من غموض وإبهام، إذ لابد لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسر غموضها، فأما المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف لأنه غير حاضر فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره ويوضّح المراد منه (حسن، صفحة 255)

ج-1- تعريف الضمائر عند العرب

يعرف النحاة القدامى الضمير بأنه: "اسم جامد يدلّ على متكلم أو مخاطب أو غائب" **(حسن، صفحة 196)** وأما المحدثين من أمثال "تمام حسان" فيجعله مشتملا على ثلاثة فروع هي ضمائر الأشخاص، والإشارات والموصولات" **(حسان، 2007، صفحة 225)**، بحيث أنها لا تخلو في ذاتها من إبهام وغموض في دلالتها لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقها فلا يدل دلالة معينة إلا بضميمية المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل على معين، وتقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة (حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 1979، صفحة 111)

ج-2- تعريف الضمائر عند الغرب

يرى إيميل بنفنيست E.Benvenist: "أن اللغة تمنح إمكان التعبير عن الذاتية، من خلال قدرة المتكلم على فرض نفسه ذاتيا، وهذه الذاتية لا تتحدد عبر الإنسان، بحيث أنها تحتوي دائما أشكالا لسانية تناسب التعبير عنها، بل تقف على أساس "الذاتية" التي تحدّد بوضعية الشخص اللسانية التي تتجلى عند مخاطبتي شخصا خارجا عن "ذاتي"، فيصبح صدى لأقول له أنت ويقول عني "أنت"، فالذاتية تحدد وحدة نفسية تتعالى على مجموعة التجارب المعيشية التي تؤلف بينهما والتي تضمن محايثة الوعي (بنفينيست، 2007، صفحة 150).

ج-3-أنواع الضمائر

***. ضمائر الحضور: "المتكلم والمخاطب" يفسرها وجود صاحبهما وقت الكلام فالمتكلم حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، ومن خلال الضمير أنا يمكن التعبير عن الذاتية في اللغة وامتلاك ناصية الحديث، واكتساب السلطة بالخطاب من خلال مجرد التلفظ به** (يعيش، 2001، صفحة 221).

****. ضمير الغائب: فصاحبه غير موجود ولابد من شيء يفسره ويوضح المراد منه، وهو المرجع.**

التعريف بالمدونة وصاحبها

1- التعريف بصاحب المدونة أبي إسحاق الإلبيري

هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري الغرناطي، ولد في حصن العقاب ونشأ فيها نشأته الأولى، ثم خرج إلى ألبيرا واستقر فيها، واستزاد من علومه ولقي شيوخا وروى عنهم وتبحر في العلوم الشرعية واشتهر بالفقه والقراءات القرآنية، (توفي بعد سنة 459 هـ)، ومن الذين عاصروه؛ ابن حزم، وابن زيتون، وأبو حفص عمرو بن خلف بن محمد الهمداني" (الفكي، 2008، صفحة 04).

2- التعريف بالمدونة

قصيدة من قصائد الحكم والزهد والمواعظ، يدعو فيها الشاعر من كنّاه أبا بكر إلى العلم والسير في طريقه، وعدّه من الأولويات التي يجب على الإنسان أن يأخذ منها في دنياه، ولقد كانت الشيوخ تأخذ طلبتها بحفظها، وقد ذكرها المقري - أحمد بن محمد المقري هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري تلمساني المالكي صاحب كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب-، في "نفح الطيب" وذكرها أبو الحجاج البلوي- أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله البلوي المالطي، ويعرف بابن الشيخ، عالم مسلم ولغوي وأديب عربي أندلسي صاحب كتاب: "تكميل الأبيات وتميم الحكايات- في"ألف باء"، وكان يوجب على طلبته حفظها لما تشتمل عليه من معان لا ينبغي أن تغيب على كل مسلم وكل طالب علم.

ثانيا: دراسة الاشاريات الشخصية في تائية الإلبيري

انطلق الشاعر من صورة "وقائع" "حقيقة" ليست عرضة للدحض أو الشك، وهي نقطة نهاية اتفق حولها جميع البشر على مر العصور واختلاف الأمكنة، وجعل منها الشاعر نقطة بداية ومنطلق حجاجي بامتياز؛ حيث يستقطب الشاعر تجاوب المتلقين، بهذه الحقيقة التي تتطابق فيها الوقائع الحقيقية والوقائع المفترضة على السّواء، وتفرض نفسها على جميع الخلق، لتصبح هذه الوقائع حقيقة لا مفر منها وذلك في قوله:

تَفُتُ فُؤَادَكَ الأَيَامُ فَتًّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا = و اقعة

وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَ = حقيقة

فالمنون وهي الموت حقيقة مسلَّم بها؛ إذ لا توجد فترة زمنية عاشها الانسان بعد الشيخوخة، فقط بعد الشيخوخة سيتوقف الزمن وهو الموت وهي حقيقة علمية ودينية وفلسفية، إن التسليم لهذه الحقيقة من طرف المتلقي تجعله ينتظر ما سيأتي في باقي القصيدة من الوقائع التي قد تصبح حقائق.

صرّح الشاعر بحقيقة الموت في قوله: "تدعوك المنون دعاء صدق" وقد استخدم لفظة: "صدق" نكرة للدلالة على مطلق الصدق لهذه الحقيقة، والشاعر عند عرضه للو اقعة التي في البيت الأول و أتْبعها بالحقيقة في البيت الثاني يوظف ضميرين اثنين هما: (هي / أنت)، دون حضور الضمير أنا. وكأنّ الشاعر في منأى ومأمن من هذا الصراع.

هي	أنت
تفت (فاعل)	فؤادك (مضاف إليه)
تنحت (فاعل)	جسمك (مضاف إليه)
تدعو (فاعل)	تدعوك (مفعول به)
أريد (فاعل=المنون=هي)	أنت (مبتدأ) أنت(مفعول به)

هي =الأيام / الساعات / المنون	أنت = أنت
هي تفت فتا + تنحت نحتا + تدعو دعاء فاعل= مفعول مطلق + م مطلق + م مطلق وهو ما يدل على قوة **هي**	مضاف إليه+ مضاف إليه+ مفعول به+ مبتدأ + مفعول به وهو ما يدل على ضعف **أنت**

كما نلمس جو انب لغوية أخرى مبثوثة في لغة الشاعر توحي بسمة الضعف التي يثبتها للشخص المخاطب "أنت" نجد منها أيضا في هذا المطلع:

التنبيه الذي يفيد القرع بواسطة حرف التنبيه "ألا" والنداء بحرف النداء "يا"، والترخيم في كلمة "صاح"، فحركة الفتحة الممدودة توحي بالضعف والاستخفاف بشأن المخاطب وهو ما يؤكده التنكير في ضمير المبهم الاشاري "أنت"

وهذا الضعف المنسوب للمخاطب ضعف مستمر، وهو ما نلمسه من خلال ملاحظة أن أغلب أحرف مطلع القصيدة من الحروف المهموسة التي توحي بالاستمرارية والحزن المجموعة في 'حثه شخص فسكت' والتي نجد منها في هذين البيتين: الفاء+ الحاء+ السين+ الصاد+ التاء

إلا أن البارز في هذه الأحرف هو حرف التاء وهو حرف انفجار مهموس والذي ورد في الكلمات (تفت، فتا، تنحت، نحتا، الساعات، تدعو، أنت، أنت) إن القوة الانفجارية في هذا الحرف تظهر جليا عند تكرار الضمير أنت، والوقوف عليه آخر البيت الثاني

وهنا نلاحظ حروف هذا المبهم الاشاري:

أنت: وتشمل الهمزة: شديد، مجهور، مستفل، منفتح.

النون: مجهور، مستفل، منفتح، الغنة.

التاء: مهموس، انفجاري.

وهو ما يدعّم أسلوب القرع والتنبيه الذي يوجهه الشاعر لمخاطبه الذي بثّه صفة التنكير والضعف والغفلة من خلال توظيفه للمبهم الاشاري أنت في المطلع السابق.

أَرَاكَ تُحِبُ عِرسًا ذَاتَ غَدْرٍ.... أَبَتْ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَا

في البيت الثالث يتصدر الضمير "أنا" المبهم الاشاري الذي كان مدمجا في الخطاب في البيت الأول والثاني ليظهر فاعلا ضميرا مستترا في فعل المعاينة "أراك"

وهنا أيضا يرفع الشاعر قيمة الواقعة التي بيّنها في البيت وهي حب الدنيا إلى قيمة الحقائق موظفا فعل المعاينة (أراك)؛ حيث لو استبدلنا هذا الفعل بفعل آخر من أفعال المعاينة مثل: ألاحظك، أفحصك، أشاهدك، ألمحك، اتمعنك، أرمقك... لَفهمنا أن اختيار الشاعر للفعل "أرى" ذا دلالة وهي عدم تتبعه لعيوب مخاطبه، إنما فعل مخاطبه وهو حب الدنيا وما يصاحبه، يظهر للعيان دون بذل جهد.

في البيت الثالث تجتمع الضمائر الأربعة: أنا، أنت، هي، هم.

أراك= فعل مضارع + فاعل "أنا"+ مفعول به "أنت"

تحب= فعل مضارع+ فاعل "أنت"

عرسا ذات غدر= اسم نكرة "عرسا، غدر" + (هي/الدنيا+ التنكير يدل على الديمومة)

أبتّ طلاقها= فعل "بتّ"+ مفعول به "طلاق"+ مضاف إليه "الهاء"+ فاعل "الأكياس/هم"

بتّا= مفعول مطلق

ليؤكد الشاعر من خلال ما نستشفّه من لغته على ضعف الضمير "أنت" أمام "أنا" الشاهد، وهي الغادرة وهم الأكياس، حيث استطاع "هم+ أنا" أصحاب العقول الراجحة الأذكياء التملّص من "هي" لاختبارهم لها بالملاحظة، وكشفهم غدرها.

تَنَامُ الدَّهْرَوَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ..... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَهَتْ

تنام الدهر ويحك في غطيط		بها حتى إذا مت انتهت				
أنت فاعل	احذر انت	صفة للمغرق في النوم	هي	طرق لما يستقبل	فعل فاعله انت	أنت فاعل

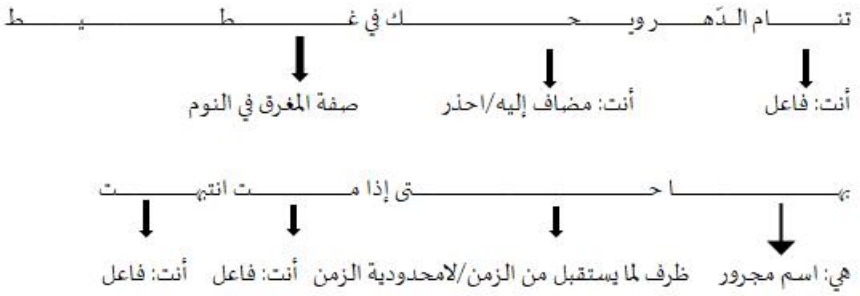

يواصل الشاعر في سرد الوقائع التي تؤكد على ضعف "أنت" مقابل الضمير "هي" والضمير "أنا" المندمج في الخطاب؛ فالمخاطب "أنت" ينام نوما يُرى بالعين ويُسمع بالأذن، وهو من ذلك في غفلة ليزيد الشاعر من قوة حجته و إثبات ما نسبه لخاطبه من صفات حقيقة عبر المبهم الاشاري "أنت".

فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى

يواصل الشاعر ذكر الخاصيات المميزة للمبهم الاشاري "أنت" مستخدما لتقرير كثرة الوقائع الصادرة من " أنت" والتي تجري في مضمار واحد اتجاه الضمير "هي/الدنيا" حيث يؤكد مرة أخرى سطوة "هي" على المبهم الإشاري "أنت" وطول مدته، وهو ما يمكن أن نستشفه من اللغة في هذا البيت.

أنت = مخدوع (صفة على وزن اسم المفعول) + حتى (تدل على لا محدودية الزمن)

أنت = لا ترعوي/لا تكف + حتى (صفة + لا محدودية الزمن)

فيؤكد الشاعر للمبهم الاشاري "أنت" صفة الانخداع الطويل الذي طال أمده حيث استخدم "حتى" الغائية مرتين واسم استفهام عن الزمن "متى"

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَ ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَ

هنا يقف الشاعر وجها لوجه في خطابه (حلبة مصارعة الضمائر)، حيث يضع الضمير "أنا" مقابل الضمير "أنت". ويصرّح بمرجع المبهم الاشاري "أنت" وهو: أبا بكر

أبا بكر دعوتك لو أجبت .... إلى ما فيه حظك إن عقلت

أبا بكر= منادى/ أنت

دعوتك= فعل ماض "دعا"+ فاعل "أنا" +مفعول به "أنت"

لو: حرف امتناع / للتقليل من احتمال وقوع فعل إجابة الدعوة

أجبت= فعل ماض"أجاب"+ فاعل "أنت"

ما= اسم موصول مبهم يدل هنا على عمومية الحظ

حظك= خبر+مضاف إليه "الكاف/أنت"

إن =حرف شرط /للتقليل من احتمال تعقل المخاطب

عقلت= فعل ماض +الفاعل "أنت"

يؤكد الشاعر من خلال هذا البين على قوة "أنا" الداعية إلى الصلاح والحظ، وضعف الضمير "أنت" الذي لا يرجو منه إجابة ولا عقلا.

إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِـــــــهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهيتَ وَإِنْ أَمَرْتَ

العلم

المبهم الاشاري "هو" الضمير هو

استخدم الشاعر كلمة "علم" نكرة للدلالة على سعته، ولاشتمال العلم لكل نفع مطلقا وهو ما ضمّنه في قوله السابق "ما فيه حظك" في البيت السادس عند استخدامه الاسم الموصول "ما" وكأن بالشاعر يقول: مطلق حظك = علم (اسم، جامد، نكرة)

يواصل الشاعر استخدام الضمير "هو" فيعرض من الوقائع ما تلبث أن تصير حقائق إذ ما نسبت للضمير "هو=العلم" والضمير "أنت=المخاطب" وعليه يكون البيت كالتالي:

أنت ⬅ إن نهيت، إن أمرت، /حيث قد تأمر وتنهى دون علم؛ وهذه من باب الوقائع التي قد تحدث لأي شخص، ولكن إذا ما اقترنت هذه الأحداث بالعلم ستصبح حقائق على النحو التالي:

أنت +هو= النهي+ العلم وَالأمر+ العلم= (الإمامة+ الطاعة) حيث دلّ على مطلق الطاعة بتنكير اللفظتين (إماما، مطاعا)

يَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ظَلَلْتَا

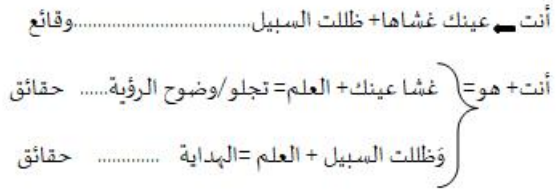

وعلى هذه الشاكلة يقدّم الشاعر الأبيات الموالية من القصيدة موضحا صفات المبهم الاشاري "هو" ويحيل إلى العلم الذي يمثل الدعوة العامة للشاعر من خلال قصيدته، التي يجلّيها في صورة حقائق أمام الضمير "أنت" وعلى سبيل المثال: هو= تاج + الجمال+ النفع+ البقاء (بعد الموت) + الغضب+ كنز+ ...." من البيت 7- 43.

وعلى مدى الأبيات السابقة والتي وظف فيها الشاعر المبهمات الإشارية "أنت، هو" نلمس حضور الضمير "أنا" مدمجا في الخطاب وذائبا في ثنايا الأبيات؛ ليترك المجال أمام الضميرين السابقين لمقصدية الخطاب وهي نصح المخاطب من خلال وقائع معاشة وحقائق مجربة، مبرزا مواضع أفضلية "هو/العلم" ومواطن ضعف المخاطب "أنت" من خلال الصفات التي ينسبها ل "هو" وَ"أنت"؛ ذلك أن الصفة تأثر في وجهة نظر المتلقي وتحدد موقفه من الخطاب؛ إذ يقول الشاعر يقول في البيت التاسع:

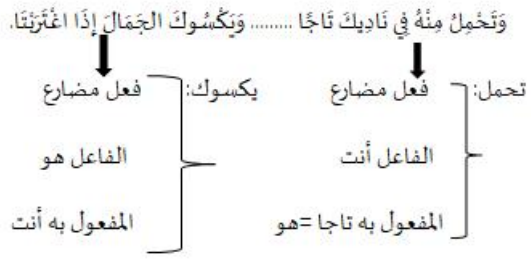

هو= تاج / أنت= تحتاج ما تحمل في النادي

هو= الجمال /أنت= غريب

حيث يظهر للقارئ التوازن والتقابل الذي يصنعه الشاعر من خلال الضميرين "هو، أنت"

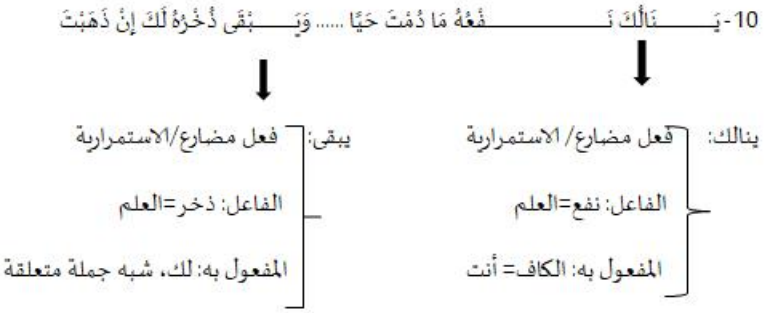

وهنا يبدو للقارئ كذلك التوازن في بناء البيت رغم أنه يحمل صفات متضادة تؤكد قوة "هو" وضعف «أنت"

11- هُوَ العَضَبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو .... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا

وهنا أيضا يظهر حضور المهم الإشاري "هو" أكثر أمام المهم الاشاري "أنت" للدلالة على قوة العلم

12- وَكَـنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ..... خَفِيفُ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَ

13- يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإنْفَاقِ مِنْهُ ..... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَ

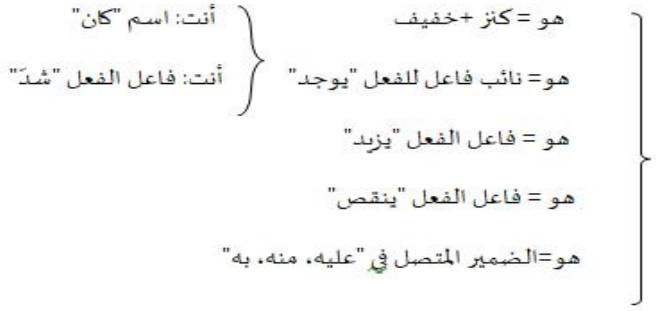

14/ فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا ..... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَ

15/ وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاعٌ ..... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرِفِهَا فُتِنْتَ

46/ وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقَ رُوضٍ ..... وَلَا خِدْرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلَفْتَ

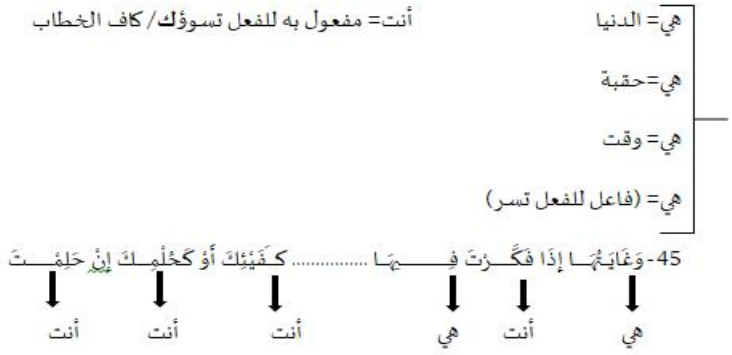

إن الشرط الذي تضمنه قول الشاعر" فلو قد ذقت من حلواه طعما" الذي يوحي بأن الشيء القليل من طعم العلم الذي لا ذوق فيه إلا الحلاوة، وهذه الحلاوة درجات نعرف أقلّها بأعلاها، على عكس الأمور الأخرى التي نعرف حلوها بمرها، إذ يعود ضمير الهاء في كلمة "حلواه" على العلم، ليكون عدد جمل جواب شرط واحد، هو ست جمل جميع أفعالها مسندة للضمير "أنت" هي: " آثرت التعلم، اجتهدت، لم يشغلك هوى، لم تشغلك الدنيا، لم يلهك روض، لم يلهك خدر"

وهنا تظهر كذلك قوة الضمير "هو" أمام الضمير "أنت"، حيث أن ذكر صفات العلم من شأنها أن تحدد موقف المتلقي من الضمير أنت ونوع هذا الموقف، وعلى هذا المنوال يصل الشاعر للبيت 44 حيث يقول:

44- فَلَيْسَتَ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... تَسُوؤُكَ حِقْبَةٌ وَتَسُرُّوَقْتًا

يرجع الشاعر من خلال هذا البيت إلى بنية الصراع التي بدأ بها القصيدة من خلال نفس المهمات الإشارية "أنت" وَ"هي"

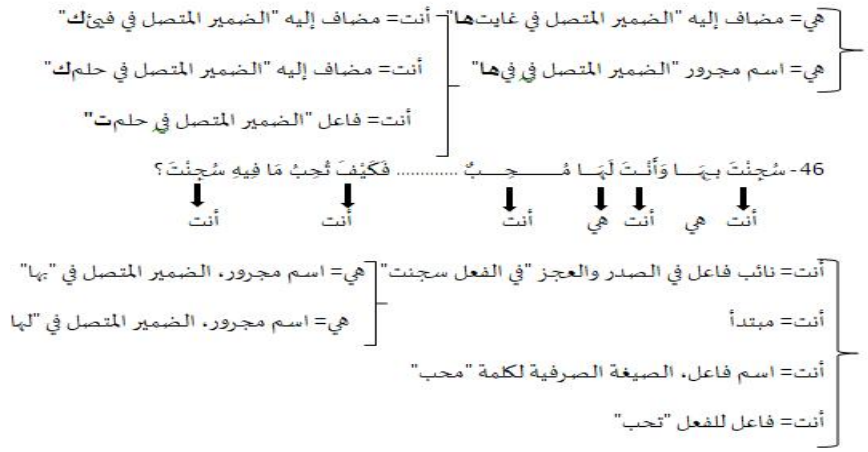

47- وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ ..... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَ

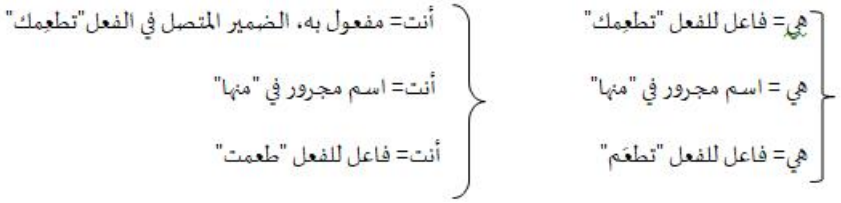

يسند الشاعر نفس الفعل "تطعم" للمهمين الاشاريين "أنت" و"هي"، إلا أنه يوجه المعنى المقصود عن طريق المهم الزمني "عن قريب" ليحافظ على التوازي الذي بناه بين المهمين الاشاريين.

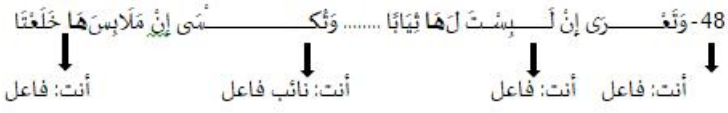

أنت + تلبس "هي" = تَعري

أنت + تخلع "هي" = تُكسي

وهنا يسند الشاعر أفعالا للمهم الإشاري "أنت" لا تلبث أن تنقلب إلى النقيض عند اقتران الفعل بضمير يعود على المهم الاشاري "هي"

49- وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍ ..... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ بِمَا شَهِدْتَا

يسند الشاعر الفعل "شهد" إلى المبهم الاشاري "أنت" في الزمنين الماضي والمضارع للدلالة على استمرارية وديمومة حقيقة "الموت"، ويدعم ذلك بالمبهم الزمني "كل يوم" الذي يدل على لا محدودية الزمن.

50- وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ ..... لِتَـعْبُرَهَا فَجِـدَّ لِمَا خُلِقْتَ

- أنت= نائب فاعل للفعل "تخلق"
  - هي= مفعول به للفعل "تعمرها"
  - هي= مفعول به للفعل "تعبرها"
- أنت= فاعل للفعل "تعمرها"
- أنت= فاعل للفعل "تعبرها"
- أنت= نائب فاعل للفعل "خلقت"

يركز الشاعر توجيه خطابه للمبهم الاشاري "أنت" الذي يبدو واضحا من العدد الكبير لهذا المبهم الإشاري في الأبيات السابقة، حيث يتراجع حضور المبهم الاشاري "هي" الذي يحيل إلى الدنيا، وقد توالد هذا الصراع بين المبهمين من مطلع القصيدة، وذلك في ظل الحضور الضمني للمبهم الإشاري "أنا" المندمج في الخطاب، فالشاعر لا يعرض موقفه من "هي=الدنيا و أنت=أبو بكر"، إنّما ينتظر موقفا محددا من المخاطب "أنت" المدمجة مع "أنت=أبو بكر" ويتجلى ذلك من خلال أفعال الأمر التي وجهها للمتلقي "أنت" كالآتي:

المبهم الإشاري "أنت"	رقم البيت	فعل الأمر	العبارة
أنت	42	قابلْ	قابل بالقبول نصحي
أنت	50	جدّ	جد لما خلقتا
أنت	51	زدْ+ حصّنْ	زدها هدما + حصن أمر دينك
	52	لا تحزن	لا تحزن
	54	لا تضحك	لا تضحك مع السفاء لهوا
	56	سلْ + أخلصْ	سل من ربك التوفيق + أخلص في السؤال
	57	ناد	ناد إذا سجدت
	59	أكثرْ	أكثر ذكر الله
	60	لا تقلْ	لا تقل الصبا فيه مجال

60- وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ مَجَـــالٌ ..... فَكَـــمْ مِنْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا

يوحي الشاعر من خلال هذا البيت أن المخاطَب من خلال المبهم الاشاري "أنت" يكون في مقتبل العمر لأن الاعتداد بالصبا والأمل في طول الحياة والركون إلى التسويف لا يتوقع إلا من صغير العمر المقبل على الدنيا لا من الشيخ الكبير المدبر عنها.

61- وَقُلْ لِي يَا نَصِيحُ لَأَنْتَ أَوْلَى ..... بِنُصْحِكَ لَوْ بِعَقْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا

في هذا البيت يبدأ الشاعر باستخدام منبهين إشاريين على طريقة المواجهة، فبعد أن كان الضمير "أنا" مندمجا في الخطاب مرة مع الضمير "هو"، ومرة مع الضمير "هي"، ليبرز المبهم الإشاري "أنا" منفردا باتجاه الضمير الإشاري "أنت"، وبصيغة التحدي الذي تلا المواجهة السابقة والتي استخدم فيها الشاعر فعل الأمر والمبهم "أنت"

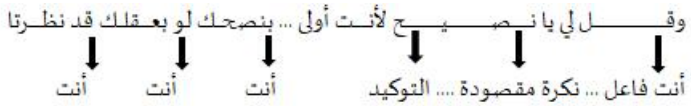

يا = المنادى البعيد

نصيح = نكرة مقصودة

لو بعقلك= **لو** حرف امتناع

قد نظرت = قد للتقليل

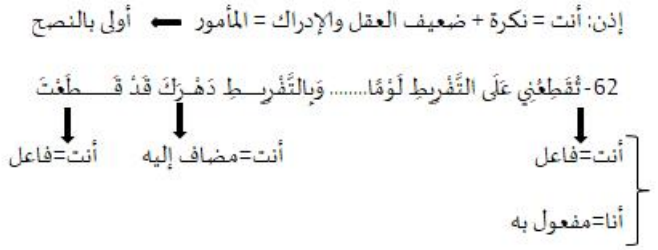

أسند الشاعر الفعل "قطع" الذي يوحي بالحدّة والتداخل والألم للمبهم الإشاري "أنت" مرتين بصيغتي المضارع "تقطعني" والماضي "قطعت"؛ حيث دلّ المضارع على استمرارية الفعل في الحاضر والمستقبل ودلّ الماضي على بلوغ الحد الأقصى لهذا الفعل، وقد قدّم المفعول به "أنا، دهر" سواء في الصدر أو العجز ليرسم الشاعر في ذهن المتلقي صورة أنت الفاعل الظالم والمفعول به "أنا، دهرك" ضحية.

فبدأ الشاعر من خلال هذا البيت في كشف مواجهة الضمير "أنت" مبررا سبب هذا الصراع وهذه المواجهة من خلال اختياره لفعل "قطع" الذي يوحي بالألم والجدة والحركة التي جعلت الشاعر ينتفض، ويتخذ قرارا بالرد على الظلم وهو الفعل الذي نسبه للضمير "أنت"

حيث يشعر القارئ أن الأبيات الستين الأولى كانت خطابا عاما، موجها لكل من اتصف بصفات "أنت" والذي دعاه الشاعر أبا بكر، من خلال عرضه لوقائع افترضها وحقائق عامة مشتركة بين الناس، ليدرك المتلقي نية الإصلاح التي يحملها الشاعر؛ إلا أن المتلقي منذ البيت الواحد والستين يجد نفسه أمام قضية شخصية، يعرض فيها الشاعر وقائع شاهدها وعاشها وعاينها، مدعما موقفه بأسلوب النفي والإثبات بشكل متوازن؛ حيث يوظف النفي في الصدر والإثبات في العجز وهو ما يوحي بعدالة الشاعر وتوازن فكره ومنهجه المنعكس في البنية اللغوية/الهيكل اللغوي في القصيدة كما سيأتي في الأبيات التالية:

63- وَ في صِغَرِي تُخَوِّفُنِي المَـــنَايَا ..... وَمَا تَـــجْرِي بِبَالِكَ حِينَ شِخْتَا

يستمر الشاعر في رصد الصّفات التي ترسم صورة "أنت" بشكل تقابلي/متوازن مع صفات المبهم الإشاري "أنا" في مجال زمني مفتوح متضمَّن من خلال المحدد الزمني "حين" ويوحي الشاعر من خلال هذا البيت أن المخاطَب في مرحلة الشيخوخة وقليل التفكر والتدبر، على غير ما هو متوقع من الشيخ من الحكمة والوقار والنصح لمن يصغره سنا وهو هنا "أنا=الشاعر"، وهو ما يؤكده مباشرة في البيت الذي يليه:

64- وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا ..... فَمَا بَالُكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَسْتَاك

إن مخاطبة الشاعر للمبهم الإشاري "أنت" في البيتين 64/63 على أنه شيخ، وفي البيت 60 يخاطبه على أنه صبي يفسر بكون الشاعر لا يلتزم بكون المرجع للمبهم الإشاري "أنت" هو أبوبكر، إنما يوجه خطابه لكل من يصح ان تخاطبه بالضمير "أنت" وهو العاقل من الموجودات الانسان.

ليستمر الشاعر في حشد الصفات والوقائع بنفس القالب اللغوي الذي رسمه في البيت 61 أي بشكل تقابلي، متزن، بين النفي والإثبات، التي تقوي موقفه بالأبيات الموالية:

65- وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ المَنَايَا ..... كَمَا قَدْ خُـــضْتَهُ حَتَى غَرِقْـــتَا

66- وَلَمْ أَشْـــرَبْ حَمِيمًا أُمَّ دَفْرٍ..... وَ أَنْتَ شَرِبْتـــــَهَا حَتَّى سَكِـرْتَا

67- وَلَمْ أَحْـــــلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ ..... وَ أَنْتَ حَـــــلَلْتَ فِيهِ وَانْهَمَكْتَا

68- وَلَمْ أَنْـــشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ ..... وَ أَنْتَ نَـــشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

أنا/فاعل (الضمير المستتر في الفعل الماضي) = لم أخض+ لم أشرب+ لم أحلل+ لم أنشأ.

أنت/فاعل (الضمير المتصل في الفعل الماضي)= خضت+ غرقت+ شربت+ سكرت+ حللت+ انهمكتا+ نشأت+ ما انتفعت.

استمر الشاعر في مواجهة استدعاها مقام الفعل ورد الفعل؛ حيث كلما أسند الشاعر فعلا ماضيا في صدر البيت للمبهم الإشاري "أنا"، أسند فعلين ماضيين في عجز البيت للمبهم الاشاري "أنت" في شكل تقابلي متزن، وموظفا أفعالا ماضية للدلالة على اليقين بعيدا عن الشك، مبيّنا قوة حجته.

69- وَقَدْ صَاحبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا .... وَلَمْ أَرَكَ اِقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

70- وَنَادَاكَ الكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ .... وَنَهْنَهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْـــــتَهَيْتَا

71- لَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي .... وَ أَقْبَحُ مِـــــنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

يؤكد الشاعر مرة أخرى أن مرجع المبهم الاشاري "أنت" وهو أبو بكر في مرحلة الشيخوخة؛ حيث أن المصاحبة تدل على طول مدة الصحبة ودوام العشرة، وصرّح بذلك في قوله: "نهنهك المشيب+ شيخ قد تفتّى" يستمر الشاعر في جمع صفات "أنت" التي تثبت وضعفه وقلة حجته، أمام قوة حجة المبهم الإشاري "أنا" من خلال معاينته لهذا الخصم في قلة اقتدائه بأصحابه الصالحين وعدم إتيانه أوامر ونواهي القرآن الكريم، ونقص فطنته وقلة تعلمه من تجاربه على طول عمره، وقيامه بأفعال الصبية من طيش وقلة علم وحكمة وتهور وتمادٍ وتعنّت.

وهي النتيجة التي وصل إليها مع خلال الأبيات السابقة التي عرض فيها المواجهة بين المبهمين "أنا" و"أنت". و لا يكتفي الشاعر بعرض حجته في هذا الصراع وتبيان ضعف "أنت" وتأكيد قوة "أنا" إنما يطالب "أنت" بالاعتراف بقبح صفاته و أفعاله وهو الموقف الذي حملَنا الشاعر على تبنّيه ولا غرابة في أن كل قارئ للقصيدة مهما كان زمانه ومكانه، يقف الموقف نفسه من المخاطب "أنت".

وبذلك جسد الشاعر مواجهة اشتملت على جميع الوقائع، ومدعّمة بكل الحجج مما لا يدع مجالا ل "أنت" إلاّ الاعتراف بظلمه الذي بدأبه. فهذه المواجهة في البيت 61 في كونه أولى بالنصح (قل لي يا نصيح لأنت أولى بنصحك...)، كما يدعوه للندم والتوبة على كل ما أتاه سابقا من خلال الأبيات التالية:

72- فَأَنْتَ أَحَقُ بِـــالتَّفْنِيدِ مِنِي ..... وَلَوْ سَكَتَ المُسِيءُ لَمَا نَطَقْتَا

بعد عرض القضية في البيت 62 التي تبين لوم المخاطَب "أنت" للشاعر "أنا"، قدّم الشاعر جميع المعطيات والدلائل ليصل إلى تفنيد قضية الخصم، بل جعل الخصم في موقف المعترف بما رمى به غيره في البيت 72 (أنت = أحق بالتفنيد) وهنا بعد أن حمّل الشاعر المخاطَب "أنت" على الاعتراف بقبح صنعه ووصفه، وليزيد الشاعر درجة تحسيس المخاطَب بالذنب وبالندم يختفي المبهم الإشاري "أنا" ويندمج في الخطاب مرة أخرى، ويترك المبهم الاشاري "أنت" في مواجهة مع ذاته "أنت" المذنبة، ملزما إياه بالتوبة وطلب الصفح والمغفرة والخوف من الجزاء.

73- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِـــوَاهَا .....بِعَيْبٍ فَهِيَ أَجْدَرُمَنْ ذَمَمْتَا

74-فَلَوْ بكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَـــوْفًا ..... لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِـنْتَا

75- وَمَنْ لَكَ بِالأَمَانِ وَ أَنْـــتَ عَـبْدٌ .....أُمِرْتَ فَمَا ائْتُمِرْتَ وَلَا أَطَعْتَا

78- ثَقُلْتَ مِنْ الذُنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى .....بِجَهْـلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْـتَا

77-وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِ عَلَى المَـــعَاصِي ..... وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِـمْتَا

78- رَجَعْتَ القَهْقَرَى وَخَبَطَتَ عَشْوَا ..... لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلَتَ لِمَا رَجَعْتَا

أنت= (لا تذمم+ ما ائتمرت+ لا أطعت+ لا تخشى+ ما رحمت+ لما رجعت)، إنّ الملاحظ على هذه الأبيات هو إسناد أفعال منفية للمبهم الإشاري "أنت"، فالشاعر في مقام القرع والتوبيخ ل"أنت" يرسمه في حالة من الضعف والهوان والعجز ويكشف له بجلاء حقيقة أفعاله، التي أضاعت منزلته وعمله وعمره وطريقه. إن هذا الوضع لا يستدعي من "أنت" المخاطب وهو المتلقى بصفة عامة، إلا الفزع والتساؤل عن مصيره بعد كل هذا التفريط؟ فيكشف الشاعر عن هذا المصير وهو *الحساب يوم القيامة* في الأبيات الموالية:

79- وَلَوْوَ افَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْـــــبٍ ..... وَنَاقَشَكَ الحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعلين الماضيين "وافيت+ هلكت")

أنت= مفعول به (ضمير الكاف المتصل بالفعل الماضي "ناقشك")

أنت= مضاف إليه (ضمير الكاف المتصل في الاسم "ربّك")

80- وَلَمْ يَظْلِمْكَ في عَمَلٍ وَلَـــــكِنْ ..... عَسِيرٌأَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَـــا

أنت= مفعول به (ضمير الكاف المتصل بالفعل المضارع "يظلمك")

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل الماضي "حملت")

هو= فاعل (الضمير المستتر في الفعل المضارع "يظلمك") / المرجع للضمير "هو" هو: ربّك

81- وَلَوْقَدْ جِئْتَ يَوْمَ الفَصْلِ فَرْدًا ... وَ أَبْصَرْتَ فِيهِ المَنَازِلَ شَـــتَّى

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل الماضي "جئت+ أبصرت")

هو= اسم مجرور (ضمير الهاء المتصل ب حرف الجر "في") /المرجع للضمير "هو" هو: يوم الفصل

82- لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًـــا ..... عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَـا

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل الماضي "أعظمت+ أضعت")

أنت= مضاف إليه (ضمير الكاف المتصل في الاسم "حياتك")

هو= اسم مجرور (ضمير الهاء المتصل ب حرف الجر "في") /المرجع للضمير "هو" هو: يوم الفصل

83- تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيـــــــهِ .....فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّم قَدْ فَرَرْتَـــــا

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل المضارع "تفرّ")

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل الماضي "فررت")

هو= مفعول به (ضمير الهاء المتصل بالفعل المضارع "تتقيه") /المرجع للضمير "هو" هو: الهجير

84- وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًـــا .....وَلَوْ كُنْتَ الحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَـــا

أنت= اسم ليس (ضمير التاء المتصل في "لست")

أنت= اسم كان (ضمير التاء المتصل في "كنت")

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل المضارع "تطيق"

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل الماضي "ذبت")

85-فَلَا تُكْذَبْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِـــــدٌّ .....وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا

أنت= نائب فاعل (الضمير المستتر في الفعل المضارع المبني للمجهول "تكذب")

أنت= مفعول به (ضمير التاء المتصل بالفعل "حسبت")

أنت= اسم ظن (ضمير التاء المتصل بالفعل "ظننت"

في هذه الأبيات السبعة فصّل الشاعر في عرض وقائع يوم الحساب التي يسلِّم بها كل مسلم، مما استدعى وجود المبهم الإشاري "أنت" بصورة الفاعل في أغلب الأحيان؛ لأن الانسان لا يحمل معه يوم القيام إلا عمله، مقابل المبهم الإشاري "هو" الذي تعدد مرجعه لمقتضيات مقام يوم القيام "ربك، يوم الفصل، الهجير).

وهنا يختفي الضمير "أنا" ويندمج مع الضمير "أنت" لكونه أولى بالذّكرى بيوم الحساب. ولقاء الله-عزّوجلّ-

وهو مقام عظيم عند كل مسلم يوقع في النّفس الرّهبة والخوف والخشية، وقد كان وقْعُه على الشاعر أبلغ أثرا مما بدا واضحا من بقية أبيات القصيدة حيث تراجعت درجة التوتر التي احتوتها الأبيات السابقة من القصيدة، واختفى فيها الجدال، الأمر الذي استدعى من الشاعر محاسبة نفسه في المقام الأول في الأبيات الموالية، فلم تعد وجهة الخطاب ومقصده نحو "أنت" فحسب، إنما يتوجه خطاب الشاعر نحو جميع المبهمات الإشارية التي تعود على كل عاقل بداية ب أنا، أنت، أنتِ، أنتما، هو، هي....وهي مندمجة مع المبهم الإشاري "أنت"، وقد جعل الشاعر مرجع هذا المبهم اسم العلم: أبا بكر، وذلك بداية من البيت 85 إذ يقول:

85-أَبَا بَكْرٍ كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِـــي ..... وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَـــا

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعلين الماضيين "كشفت، سترت")

أنا= مضاف إليه (ضمير الياء المتصل بكلمة "عيبي")

86-فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي مِنَ المَخَازِي ..... وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

أنت= فاعل (ضمير مستتر في فعل الأمر "قل+ ضاعف")

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل في الفعلين الماضيين "شئت+ صدقت")

أنت= اسم إن (ضمير الكاف المتصل ب"إنّك")

أنا= اسم مجرور (ضمير الياء المتصل ب "في")

87-وَمَهْمَا عبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِـي ..... بِبَاطِنَتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَـا

أنا= مفعول به (ضمير الياء المتصل بالفعل "عبتني")

أنا= مضاف إليه (ضمير الياء المتصل بالاسم "علمي+ باطنتي")

أنت= فاعل (ضمير التاء المتصل بالفعل الماضي "عبتني+ مدحت")

أنت= اسم كأن (ضمير الكاف المتصل ب "كأنّ")

إن مقام التذكير بيوم القيام بالغ الأثر في هذه الأبيات، فاعترف الشاعر أيضا بعيوبه (أنا= كثير العيوب+ كثير المخازي)، مما يزيد في حجية الشاعر والشاعر بذلك يقنع المتلقي بمصداقية كل ما جاء ذكره في القصيدة ما يثبت مدى تقواه وردع نفسه وزجرها عن إتيان النقائص.

وبداية من البيت 89 يندمج المهم الاشاري "أنا" في الخطاب، ويظهر فقط المهم الإشاري "أنت" الذي يحثه الشاعر "أنا" على محاسن الأخلاق بل يظهر حرصه على ضرورة تدارك حياته وكفّه على ما كان يأتيه من الأفعال الدنيّة، واستبدالها بالأفعال الرضيّة. كما سيأتي في الأبيات:

89- فَلَا تَرْضَ المَعَايِبَ فَهِيَ عَارٌ.... عَظِيمٌ يُورِثُ الإنْسَانَ مَقْتًا

90-وَتَهْوَى بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَـا .... وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَـا

وفي هذا المقام استخدم الشاعر المهم الاشاري "هي" ومرجعه "المعايب"

حيث المعايب= عار عظيم+ مقت+ تهوي بالوجيه+ تبدله مكان الفوق تحتا

وهذه الصفات دعمت بمبهمات مكانية "الفوق+ تحت" تدل على لا محدودية المكان، وعرّف الشاعر كلمة " فوق" بالألف والام لأن الفوق مكان واحد وهو مقام الحق والتقوى، ونكّر كلمة "تحت" لان طرق الباطل والظلال متفرقة ومتعددة.

91- كَمَا الطَّاعَاتُ تَنْعَلُكَ الدَّرَارِي ... وَتَجْعَلُكَ القَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَـا

92 -وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيـلَا ... فَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَـا

93- وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا كَرِيمًـا ... وَتَجْنِي الحَمْدَ مِمَا قَدْ غَرَسْتَا

يواصل الشاعر في استخدام المهم الاشاري "هي" ومرجعه في الأبيات91،92، 93 هو " الطاعات"

حيث الطاعات= تنعلك الدراري -تلبسك النجوم-+ تجعلك قريبا+ تنشر عنك جميلا+ تلقى البر+ تمشي كريما+ تجني الحمد

وهذه الصفات دعّمت بمبهمات مكانية "القريب+ حيث" تدل على لا محدودية المكان، وهنا أيضا عرّف كلمة " القرب" بالألف واللام، لأن مقام القرب واحد وهو مقام الحق والتقوى.

وفي كلا المقامين "هي= المعايب وَهي= الطاعات" استعان الشاعر بالأفعال المضارعة (ترضى، يورث، تهوى، تبدل، تنعل، تجعل، تنشر، تلقى، تمشي، تجني) **تدل** على الاستمرارية ودوام آثار المعايب والطاعات على الانسان.

94- وَ أَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَـابٍ *** وَلَا دَنَسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَـا

95- وَلَا سَابَقْتَ فِ فِي مَيْـدَانِ زُورٍ *** وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَـا

96- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشَبَتَ فِيهِ *** وَمَنْ لَكَ بِالخَلَاصِ إِذَا نَشَبْتَا

97- وَدنَسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّـى *** كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَـا

98- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ *** وَكَيْفَ لَكَ الفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

يعود الشاعر لرصد بعض الوقائع التي تثبت **ل** " أنت " سلامته من العيب والدنس والزور والطهر، بل ويضع "أنا" نفسه شاهدًا على "أنت" بهذه الصفات وذلك بتحديده لزمن الوقائع (مذ نشأت إلى الآن)،

حتى ليبدو للقارئ أن الشاعر يناقض نفسه في القصيدة. ففي بداية القصيدة وعلى طول 85 بيتاً ما فتئ الشاعر يكيل العتاب واللوم لسوء ما جاء به "أنت" من أذية ومساوئ وصفات ذميمة.

حيث أن الشاعر "أنا" نفسه في هذا المقام يثبت ل " أنت " كل معاني الرفعة والنزاهة والطّهر.

(أنت= لم تعرف بعاب+ لا دنست ثوبك+ لا سابقت زورا).

وكما سبق وأن أشرنا فإن هذا يفسر بأن المبهم الإشاري المخاطَب " أنت " هو مخاطب عام سواء كان فتى أو شيخ، قريب أم بعيد، حاضر أم غائب.

فالشاعر حريص على نفسه وعلى بني جنسه في امتثالهم للطاعات واجتنابهم للمعاصي، وهو ما يحفظ قربهم من الله، وتزكيتهم في الدنيا، وخَلاصهم في الآخرة.

99- وَخِفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

100- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِـــــذَارًا وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمِسْتَـــــا

101- وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامًـا لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَـــا

102-وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَـــانٍ يَنَالُ العُصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَـــا

103-وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْـــــمٌ يُمِيتُ القَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَـــــا

104- وَغَرِّبْ فَالغَرِيبُ لَهُ نَفَـــــاقٌ وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَـــا

105-فَلَيْسَ الزُّهْدُ بِـــي الدُّنْيَا خُمُـولًا لَأَنْتَ بِهَا الأَمِيرَ إِذَا زَهِدْتَـــــا

106- وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَـــا سُمُوًّا وَ افْتِخَارًا كُنْتَ أَنْتَـــا

107- وَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَـــا إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَـــا

108-وَإِنْ كَرَّمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَـــــا بِإِجْلَالِ نَفْسِكَ قَدْ أَهَنْتَـــــا

109-جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا حَيَاتَكَ فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا

110-وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدْتُ فِيـــهِ لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَـــا

111-فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْـوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَـــا

112-وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًـــا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِئَةً وَسِتَـــــا

113-وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّـــي وَعِطْرَتِهِ الكَرِيمَةَ مَاذَكَرْتَـــا

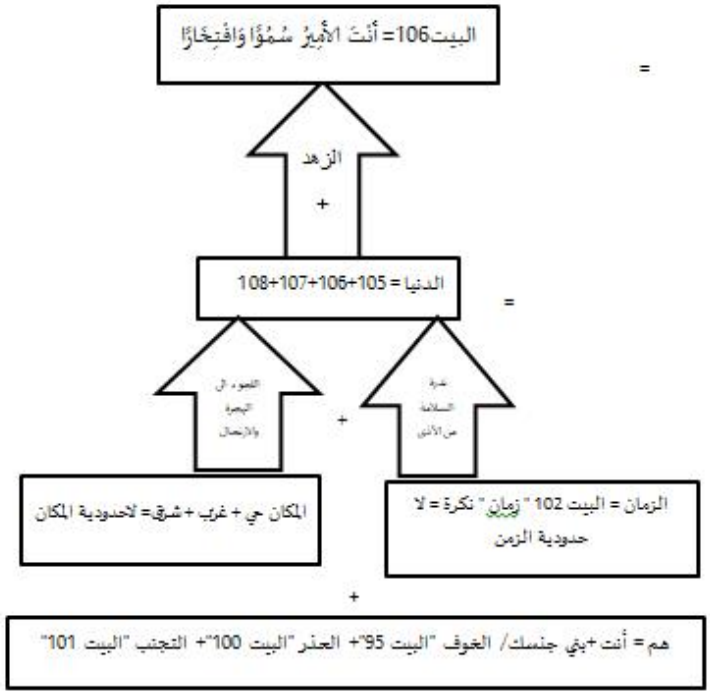

من خلال ما بقي من أبيات القصيدة رسم الشاعر طريق الفوز والفخر والسمو للمبهم الإشاري "أنت"، وذلك إذا ما اتخذ نصائحه التي بثّها في أبيات القصيدة وسيلة وغاية، ليجمعها بقدرة فائقة في آخر أبيات القصيدة، حيث حدد للمبهم الإشاري " أنت " علاقته ب " هم " وهو مبهم إشاري جامع للمبهمات الإشارية الأخرى " هي، هما، أنتم، أنتن، هن..... ". كما حدد علاقته بالمكان، وبالزمان وهذا في مجموعه ما يمثل " الدنيا " للإنسان.

أنا / أنت + زمان + مكان = الدنيا.

وهو ما **يوازي العناصر** التي تسعى الملفوظية لدراستها في الخطاب{ أنا، الآن، هنا }.

و في ختام القصيدة يجلّي الشاعر نفسه من خلال المبهم الإشاري " أنا " ليثبت أن خطابه تضمّن أفضل النصائح التي يمكن أن يمتثّلها "أنت" في حياته، و يجد القارئ نفسه أيضا مذعنا له ومقرا به. لتكون القصيدة خطابا جامعا وصالحا لكل زمان ومكان، وهو ما يعلل حث شيوخ العلم الشرعي على حفظها في بداية مشوار طالب العلم.

ويختم الشاعر أبياته بما يؤكد إضافة لقوة حجته، لين جانبه ورفقه بالمتلقي أو القارئ، وهو أدبه عند التماسه العذر منه، في إطالته للأبيات وحتى في شدة العتاب، بل ووجّه نظرنا إلى التركيز على محاسن نصائحه، وغض الطرف عن تقصيره وسهوه، وهو هنا يواصل نصحه حتى آخر عتبات نصه ليكون بذلك أهلا للاقتداء.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

* تشكل القصيدة خطابا تكتمل مقوماته بعملية التلفظ بين قطبي التواصل: **أنا و أنت.**

* من خلال ممثّلات الملفوظية "أنا، هنا، الآن" والمرتبطة بسياق الخطاب تتحدد مقاصد الخطاب الذي قاله المُخاطِب وسمعهُ المُخاطَبُ.

* يُفهم من خلال الدراسة التطبيقية لتائية الإلبيري أن قرائن الخطاب قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل الماضي والحاضر وبين الماثل بين أعيننا والغائب عنها، وبين أجزاء النص المتباعدة، والربط بينها ربطا واضحا.

*ساهمت الإشاريات الواردة في القصيدة في ربط الأبيات ربطا قويا ومتسلسلا.

* الحضور الملفت والقوي لضمائر الحضور "أنا، أنت" في القصيدة أمر تعلّله مقصدية الشاعر.

*ورد ضمير الحضور المفرد "أنا" في القصيدة منفصلا ومتصلا ومستترا. ومندمجا في الخطاب. وبقي المرجع واحدا وهو الشاعر.

* ورد ضمير الحضور المخاطب "أنت" في القصيدة منفصلا ومتصلا. وتعدد المرجع ليكون مرة أبا بكر، ومرة أخرى المتلقي بصفة عامة.

* ضمائر الغائب في القصيدة قليلة، وقد وردت متصلة ومنفصلة ومستترة، وتعدد مرجعها باختلاف السياق، وقد ساهمت في توضيح المعنى وفي اتساق القصيدة وربط أجزائها.

- احتوت القصيدة على قرائن زمانية حيادية، وهذا ليكون الدعوة للعلم والصلاح رسالة للإنسان في أي زمان.

- غابت القرائن المكانية في القصيدة، وهذا راجع إلى مقصدية الشاعر، فهو في مقام وعظ ونصح وإرشاد لبني البشر الذين يتغيرون بفعل الأزمنة المتعاقبة، أما الأمكنة فهي ثابتة**(الأرض)**.

- كشفت المقاربة الملفوظية لإشاريات الخطاب في تائية الإلبيري، أن الإنسان الذي يمثل تارة "الأنا" وتارة "الأنت" لا بد له من العلم والجد فيه والتخلق بأخلاقه.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

5. قائمة المراجع

الأزهر الزناد. (1993). مزيج النص بحيث ما يكون به الملفوظ نصا. بيروت: المركز الثقافي العربي.

الفكي, م. ا .(2008) .أبو اسحاق الالبيري، حياته وشعره .السودان: جامعة أم درمان.

بنفينيست .(2007) .عن الذاتية في اللغة ضمن تلوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجج .تونس: الدار المتوسطية للنشر.

تمام حسان. (2007). مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم، ضمن اجتهادات لغوية. القاهرة: عالم الكتب.

حسان، ت .(1979) .اللغة العربية معناها ومبناها .(éd. 02)المغرب: الهيئة المغربية العامة للكتاب.

حسن، ع .(s.d.) .النحو الوافي .مصر: دار المعارف.

حمداوي، ج .(2000) .لسانيات التلفظ بين النظرية والتطبيق .دار الريف.

ذهبية، ح. ا .(2012) .لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب .الأمل للطباعة والبشر.

سيرفوني, ج .(1998) .الملفوظية) .ق. مقداد (.Trad ,اتحاد كتاب العرب.

عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية. ليبيا: دار الكتاب المتحدة.

كريم الطيبي. (2021). لسانيات التلفظ وتحليل الخطاب في المشيرات المقاميةفي مرثية مالك ابن الريب . *مجلة إشكالات في اللغة والأدب*، 44.

يعيش، ا .(2001) .شرح المفصل للزمخشري .بيروت: دار الكتب.